

## عقاب النفس

(تابع ما قبله)

فحفر في الارض حفرة صغيرة ووضع فأسه فيها وغطاها بالتراب . . . قائلاً . . ان زوجة هذا الرجل احتاجت فأساً واحدة وهي امرأة . . فلعل زوجها يحتاج للفأسين وهو رجل قوي . . . قال هذا ضاحكاً ووقف بجانب القبر في انتظار النعش . . حتى اذا جاؤا به تناوله من بين ايديهم وأدخله القبر واغلقه عليه . وأخذ فأسه وعاد للبلد . . . وعاد المشبهون مع جورج ابن الفقيد يعزونه سائلين المولى ان يلبه الصبر الجميل

جورج هذا أيها القاريء الكريم ولعلك لم تنسَ هو احد أبطال روايتنا الاولى وهو الآن في الخامسة والثلاثين من العمر . . توفت والدته من عشر سنوات بعد ان ذاق من وخزات ضميرها عذاباً بالياً . . وكانت آخر لفظة خرجت مع روحها هي . . أسر المكينة . . .

ونراه الآن يدفن والده أيضاً . التي نغصت حياته تذكاراً ابنته المفقودة وفقدته امرأته التي كان يحبها . . فالجزء الرجل الطماع الذي يشغل كل وقته في العمل لجمع المال غير مخصص بعضه لملاحظة عائلته . . .

فلنسدل الستار الآن على هذه العائلة التي لم يبقَ منها سوى جورج الذي لم يأت شيئاً يلام عليه ولنذهب بالقاريء الى موضع آخر ليصروا يعتبرون يدكر ( في يوم الخير كن بخير وفي يوم الشر اعتبر )

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

« قلب صريع »

جلس ولیم بك القاضي في صبيحة احد أيام الصيف لينظر فيما يقدم له من القضايا الجنائية

وكان ذلك اليوم شديد الحرارة ينبيء، أوله بما يكون في آخره . . . ولذلك فكان جالساً وواضعاً طرفه بوشه بجانبه يتأفف من شدة الحر . . .

وكان ولیم بك هذا في الحلقة الرابعة من عمره . ولكنه لا يزال ذو جمال فتان . . . الا ان وجهه المشوب بصفرة قليلة يدل على انه اسرف في الملاذ في أوائل شبابه

وكان هذا الرجل ميالاً للاستبداد برأيه اذ كان يظن انه خلق ليطاع لا ليطيع فلم يمنع نفسه شيئاً طلبته بلا رادع له من ضميره . وغير حاسباً حساباً لخالق أو مخلوق . ولذلك كان المتقاضون يخافونه ويهابونه لما جبل عليه من الكبرياء والاستبداد . . .

وقد جلس اليوم على منصة القضاء متملاً وكاه عيون تنظر الى باب القاعة مما يدل على انه ينتظر انساناً . . .

وبعد برهة فتح باب الجلسة ودخلت فتاة في الخامسة عشر من العمر رقيقة القوام مليحة الهندام نحيفة الجسم ذات جمال يسلب العقول . . . ونظر يواثر بالانسان بمجرد وقوعه عليه . . . ويصحبها قس شيخ يماها في يراه . . . حتى اذا دخل امر القاضي فأفسح لها مكاناً فجلسا . . . وأخذت الفتاة تحديق بعينها الجميلتين بولیم بك . كما هي عادة الفتيات متى كن في مثل هذا المكان . ولا عجب اذا رأينا القاضي لا يرفع نظره عنها مما يدل على انه رآها قبل اليوم .

وكانت هذه الفتاة العاقلة تدعى اسما وهي ابنة ذلك القس الشيخ الذي رأيناه يصحبها . . . وكانا قد دعيا مرة قبل هذه لسماع شهادتهما في قضية تأجلت لهذا اليوم

وأخذت القضايا ترد تباعاً والقاضي يفصل فيها بسرور وقد ذهب الملل الذي  
اعتراه في هذا الصباح . . وهكذا للجمال دائماً سلطان على اذهاب الملل من القلوب  
وعلى الخصوص قلب قاضينا الفتي

حتى اذا جاءت قضيتهم قامت اسما وأبيها وأديا الشهادة المطلوبة منهما وقد  
تلطف القاضي كثيراً باسمها وبوالدها الشيخ فسمح له ان يؤدي الشهادة جالساً  
احتراماً لشيخوخته . . . ولو انه لم يعود احترام الشيخ . . .

وارفضت الجلسة بعد ذلك فتودد لها القاضي كثيراً ودعا القس الشيخ لتناول  
القهوة في قاعته الخصوصية . فلي طلبته . . وطبعاً ذهبت اسما معه . . .

تناول القس الفاضل القهوة وخرج ممسكاً بيد ابنته ملاحظاً اياها بهدو  
واحتراس . حارساً بامانة ذلك الكنز الثمين الذي وضعه الله بين يديه . . لتسليته  
في شيخوخته . . جزاء لصلاحه ورأفته به . .

وقد رباها تربية دينية حقيقية وغذاها بلبان العلوم والمعارف . . وشجعها  
بصانحة الابوية . . حتى اصبحت وهي في الخامسة عشر . . كأنما هي ابنة خمسين  
فودعها القاضي بنظرة طويلة اجابته عليها بابتسامة صغيرة . خرجت من بين شفتيها  
القرمزيتين كشعاع الشمس من وسط الغيوم

وظلا سائرين الى ان وصلا الى يتنهما السكائن في شارع صغير . المكوّن  
من غرفتين في الاعلى وغرفة في الاسفل ومندرة للضيوف . .

فتحت لها الخادمة ودخلا وصعد السلم متكئاً على يد اسما الترفة الناعمة .  
وخلع القس عباءته والقي بنفسه على كرسيه لتعبه من كثرة السير واسند ظهره الى  
مسنده وأغمض عينيه لحظة وفحما عند ما فتح فمه للكلام قائلاً . . هلمي يا اسما  
فهاتي كتابك لاسمع درسك فاجابته اسما باسمها وجاءت بكتابها وأخذت تقرأ بصوت  
عالٍ وهو يصلح لها غلطاتها حتى اتت درسها فنحنج القس وقال انك تقدمت  
كثيراً يا اسما في دروسك ومتى جاء متري يكون سروره عظيماً لأجلك . فاحمر  
وجه الفتاة عند سماعها هذا الاسم

وكان متري هذا ابن اخت القس الشيخ توفت والدته وأسندت امر تربيته الى أخيها فترى مع اسما في منزل واحد فعاشا كأخوين وكانا يحببان بعضهما حباً شديداً . . . وقد وعده خاله بأن يعطيه اسما ابنته قرينة له اذا اجتهد ونال شهادة علماء . وأدخله احدى المدارس الكبرى فجد واجتهد حتى كان الفائز في كل فرقة يرقى اليها

وكانت الخادمة تعلم اسما الخياطة والتطريز فبرعت فيهما وكانت تحبهما أكثر من كل شئ .

وقدمت الخادمة طعام الغذاء لهما فصلى القس صلوة قصيرة وابتدأ يا كلان . . ومن يرى القس وشيخوخته يظن انه لا يأكل الا شيئاً يسيراً . . . ولكن من يراه الآن وهو يلثمهم كلما امامه يعلم ان قوته الجسدية لا تزال كما هي فهو يأكل كل ما يشاء من عشرين وظلا يا كلان ساكتين حتى افتتح القس الحديث فقال . . انا ممنون يا اسما من وليم بك القاضي الذي رأيناه اليوم . . قالت نعم فانه لطيف جداً وانا اشعر اني احبه . . فضحك القس وقال احذري يا اسما فلو سمعت متري الان لاغضبه كلامك . . فابتسمت الفتاة وقالت كلا فانا ومتري اخوان وهو لا يغضب مني مهما قلت . . وانتهى الحديث بانتباه الشيخ من الأكل فقام لغسل يديه لانه كان يأكل بسرعة كما دته . . وبقيت اسما تأكل بعده حتى اكنفت فقامت هي الأخرى وغسلت يديها

اما القس فذهب الى سريره وتمدد عليه كما هي عادة من هم في سنه ولم يلبث ان اغمض عينيه وغرق في سبات النوم

اما اسما فانكبت على منسجها وابتدأت تطرز والخادمة تساعدها في التطريز وكانت تسلي نفسها بتربيل بعض اعداد المزامير بصوت رخيم يظن من يسمعه انه انتقل الى جنات النعيم

فلترك اسما الان في عملها ولنعد لوليم بك القاضي الذي تركناه يودع اسما بنظرة طويلة وبعد خروجها اغلق الباب من تلقاء نفسه بنماز في ظهيرة فلن ذلك

الباب الذي حال بينه وبين من يهواها

قلنا من يهواها لان وليم بك احب هذه الفتاة من وقت وقوع نظره عليها ..  
وكان يشعر نحوها بحنين غريب لم يسبق منه لأمرأة قبلها . فكان يفكرها في نومه  
وفي يقظته وفي كل اوقات اعماله . . لذلك فقد رأيناها يتلمل في صباح هذا اليوم  
وينظر للباب لأنه كان ينتظرها اذ كان يعلم ان اليوم هو موعد سماع شهادتها

مضى الاسبوع وجاء يوم الجمعة فرأى القاضي فراغاً في وقته فاراد ان يقوم  
بواجب عليه نحو القس وابنته او بالخري نحو نفسه فيرد لهما الزيارة

وما وافت الساعة العاشرة حتى استقل عربته وسارت تخترق الشوارع كما  
اخترق الحب قلبه . . حتى وقفت امام منزل القس فنزل الخادم وطرق الباب  
ففتحت الخادمة . فسألها عن القس وكان موجوداً فأبلغته قدوم القاضي فنزل هو  
وابنته لاستقبال هذا الضيف العظيم واخذاه الى القاعة العليا واعتذرا له عن بساطة فراشها  
وبعد ان جلس قليلاً وتناول القهوة افتتح موضوعاً دينياً كثير الذبول لكي  
يطيل وقت جلوسه فأخذ القس يشرحه له باسهاب وتطويل كما هي عادة اغلب  
القسوس في مثل هذه الأحوال

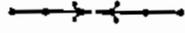
اما اسما فلما رأت ان لا شأن لها في هذا الموضوع وجدت كتاباً بجانبها ففتحت  
وأخذت تليو بالقراءة

وظل القس يشرح موضوعه حتى انتهى وقد استغرق نحو النصف ساعة كان  
وليم بك في اثنائها يتمتع بنظر اسما ولا يرفع بصره منها متلذذاً بروية هذا الجمال  
الفتان وهو لا يفهم شيئاً عما يقوله حضرة القس البسيط

وبعد ذلك خرج حضرة القاضي وودع كما قول بل بالحفاوة والاكرام وقد دعاها  
لزيارة منزله فوعدها بذلك وركب عربته وعاد لبيته

ويوم الاحد بعد صلوة الصباح ذهب القس لبيته لزيارة منزل وليم بك  
فوجداه خارجاً لعملة فماد معهما وتناولوا القهوة وخرجوا جميعاً . . وتوالت الزيارات  
بين القس والقاضي ثلاث سنوات

فصارا صديقين وارتفع من بينهما التكليف وكان القس يفخر بصداقه كما هي  
عادة من يصادق رجلاً كبيراً . . .



### ﴿ الفصل الثالث ﴾

#### « سفالة الانسان »

كان حب القاضي لاسما يزداد من يوم الى يوم حتى اضناه وانتهك قواه فكان  
يحبها ويحترمها . . . يهواها ويخافها . لان اسما كانت من الفتيات العاقلات اللواتي  
يقفن عند حدودهن مع الرجال . فكان قلما يراها تضحك وان رآها فتبسم خفيف  
ولا عجب فهي تربية رجل شيخ جرب الامور ومارس الحوادث وحارب الزمان  
وغلبه نحو ثلثي قرن . . لم يدخر وسعاً في تربيتها ولم يبخل عليها بنصيحة كبيرة  
كانت او صغيرة . . .

وكان وليم بك يعجب عن نفسه لمعاملته لها هذه المعاملة مع انه الرجل القوي  
المحبوب من النساء اللاعب بمقولهن . فصم ان يسير في طريق اخرى طالما سار فيها  
لعله يصل الى مطلوبه وينال مناه . . .

وكان لم يسبق له ان وجد اسما منفردة فان لم تكن مع ابيها فمع اخلاصة كل  
مدة معاشرته لهذه العائلة الصغيرة

ففي احد الايام زار منزل القس ففتحت له اسما الباب وقبل ان تعلمه بدم  
وجود احد فيه كان هو صاعداً السلم درجتين درجتين حتى انتهى الى آخره ودخل  
الاوده وجلس على كرسي فيها كعادته منتظراً اسما التي استغربت هذه المعاملة في  
أول الامر ولكنها نسبت ذلك الى اختلاطهم بهم فأغلقت الباب وعادت اليه . .  
وجلست اسما بعيداً عنه قليلاً فسألها بتودد ان تقرب منه فطاوعته لما رأت في  
صوته من الخنان واقتربت بكرسيها الى جانب كرسيه . . فتناول يدها بسرعة  
وأدناها من شفتيه وقبلها . . .

فاصفرت الفتاة وبسحت يدها بعنف من بين يديه واجابته بنفور واحتقار انه  
رجل سافل

وكان هذه الالهانة اعقدت لسان القاضي فظل ساكناً ينظر اليها بتردد وبعد  
ذلك اذرف دمعة سقطت على ركبتيه . . . . .

ولعل هذه الدمعة هي الاولى التي اذرفها امام امرأة . وهو لم يبكي نادماً على ما  
فعل . . . بل يبكي لانه لم يتعود ان يهان . . . ولانه لا يقدر ان يجيبها بمثله لانه يجيبها  
وكان نزول الدمع اطلق لسانه فقال ماذا فعلت بك يا اسما حتى اهنتني ؟  
فاجابته بشجاعة . اهتك لاني علمت انك شرير . وأنا لا أريد ان أراك مرة  
ثانية . فترك زيارتنا . وسأبلغ أبي عند مجيئه باعمالك

قال القاضي كلا يا اسما فأنا لا اقصد شيئاً محرماً في ما قلت بل كل ارادتي هي ان  
اتخذك قريبة لي . وأرجو ان تقبليني زوجاً لك لاني أحبك . . . قال ذلك بلوهم  
ودناءة . . . ويقصد به ان يلقى شركاً طالماً ألقاه فاصطاد به قلوب فتيات ولكن شتان  
بين رزاة وجنون . . .

فقال اسما . اذا كان قصدك هذا فهو شريف وانا أسامحك ولكنني ارفض  
قبولك زوجاً لي فقد ساءت قلبي لغيرك وعاهدته على ذلك . . . ومع كل فامري  
ليس بيدي . وكان يمكنك ان تبادل مع ابي الكلام في هذا الموضوع قبل ان  
تفاجئني به وتفعل بي ما تاباه نفسي وأما الآن وقد أصبح وجودك ثقبلاً عليّ  
فارجوك غير مطرود ان تتركني لأفكر في امري . . .

وبقي القاضي يسمع هذه الالهانات وهو ساكت وكذلك النفس الشريرة  
فانها تنحط دائماً امام الشرف وتأدية الواجبات

وبعد ان فرغت اسما من كلماتها الجارحة اغتاض القاضي واتفخت اوداجه  
واحمرت عيناه واصبحت هيئته تخيف الرجال الاقوياء . . . فكم بالحري أسما تلك  
الفتاة الرقيقة — وارسل القاضي نظرة سريعة الى الخارج فوجد البيت منفرداً من  
الجهات الاربع . . .